

حوار حول
بدء التكوين

شخصيات المحاوره:

صونيا: صاحبة المنتدى الأدبي، سيدة ثرية جميلة مثقفة.

سليمان: مثقف يحمل لواء العقل وسيادة قوانينه.

حسام: شاعر مبدع يملك ثقافة موسوعية، محبب.

باتريسيا: كاتبة تعتمد الجدل وطرح الأسئلة والشكوك.

مايك: أستاذ جامعي يدرّس علم المنطق.

وظفة: مثقفة متديّنة.

صونيا:

الحبّ يخلق في الانسان معجزة

الله أكبر كم في الحبّ من عجب

منذ نعومة أظفاري وأنا أحسّ بشيء مجهول يجذبني بدفء وحنان، كنت أحسّه بكل كياني وكأنه يحتضنني، يهددني يطير بي الى عالم بعيد، الى جزر جبالها خضراء تموج بشجر الحور والصنوبر، وديانها مروج زهور مهرجان ألوان وأضواء، جداول يسيل الماء فيها رقراقاً، أنغام خريره تشنف أذنيّ، طيورٌ من جميع الأنواع والأشكال كلها تغردّ بأصوات متناغمة وكأنها شلال ألحان ينسكب في أعماقي، كنت أحسّ بذلك المجهول يستفزني، يحرضني على تكسير الأعمدة في هيكل جسدي للانطلاق مع الريح مع الضوء، كنت أسمع مرات ومرات يهمس في أذني.. هيا انطلق من قفص الزمان والمكان، من قفص الشكل والوزن والحجم، من قفص تكاليف المأكل والمشرب والمنام، انطلق الى حيث الانسان يقظة لا يخالطها غفلة، توثب لا يخالطه خمول، طمأنينة لا يخالطها قلق، انطلق الى ضمير المعرفة حيث المعقولات الكلية والمقولات البديهية، حيث الجوهر المصفى حيث الله والموجودات كلها أطياف تسبح في دائرة نور الابداع.

حسام: هذه تهويمات إنسانة ولدت لتكون عاشقة بامتياز، إبنة أدونيس العقل والابداع وعشثروت الحبّ والجمال من لبان الصنوبر ومسك الأرز صاغت الطبيعة جسديك، ومن لمعات الصوفيين وشطحات المتألهين صاغ الله روحك سيدتي.

سليمان: إنه الصراع الذي لا ينقطع طرفة عين بين النفس التي هي قبسٌ من نور الله الذي لا يحده زمان ولا يحيط به مكان، وبين الجسد الذي تركب من عناصر الطبيعة والواقع تحت حكم الزمان والمكان والتألف والتنافر والتوحد والتفكك.

باتريسيا: أفهم من كلامك أنّ النفس التي هي قبسٌ من نور الله تنطبق عليها خواص مصدرها، فهي بدورها لا يحدها زمان ولا يحيط بها مكان.

مايك: طالما أنها موجودة في الوجود فالزمان والمكان يحيطان بها قسراً.

وظفة: في البدء كان الله وليس معه شيء، ثم فاض الوجود عن ذات الله كما تفيض أشعة الشمس عن الشمس.

سليمان: أظهر الله من نوره الشعشعاني العقل الكلي، وأودع فيه صور جميع الموجودات بالقوة، وجعل لتلك الموجودات قوانين تضبط نظام صيرورتها وانتقالها من القوة الى الفعل، وجوهر العقل يحيط بها لأنها قبل أن تصبح موجودات بالفعل كانت صوراً مودوعة في دائرة جوهره.

صونيا: إذا كان ليس في الوجود إلا ما هو موجود، فهل العدم هو نوعٌ من أنواع الوجود. أنا لا أطرح أحجية ولكني هكذا أفكر، نحن أبناء الوجود، ولأننا أبناء الوجود فنحن غير قادرين على إدراك ما هو غير موجود، ولكننا ندرك العدم، حتى وإن كنا لا ندركه إدراكاً يقينياً فنحن نحسه وننلمسه، فهل من الممكن لإبن الوجود أن يدرك ويحس شيئاً غير موجود.

حسام: أنا لا أشك أنّ العدم هو حالة من حالات الوجود، وإذا كان كل شيء له ظلّ إلا الله كما أخبرنا سليمان في محاوره سابقة، فالعدم حتماً هو ظلّ الوجود، إنه السالب الذي يقابل الموجب.

باتريسيا: إذا كان لكل موجود ظلٌّ يزدوج به، فمعنى ذلك أنّ ظلّ الشيء هو ضده، وأنّ الشيء لا يكتمل وجوده ولا يستطيع أن يمارس وجوده إلا بضده.

وظفة: هذا كلامٌ خطير معناه أنّ العدالة لا تستطيع أن تمارس وجودها عملياً إلا بوجود الظلم، والخير لا يستطيع أن يمارس وجوده العملائي إلا بوجود الشرّ وكذلك الجمال إلا بوجود القبح.

حسام: ولهذا السبب بالذات أنا شخصياً أعتبر الجمال فوق الخير والشرّ وفوق العدالة والظلم وفوق الحقّ والباطل. إنه نظرة المحبة التي شمل الله بها مخلوقاته.

مايك: ولكن أفلاطون قال أنّ كل شيء متناسق في جزئياته متناسق في أعضائه متوازن في العناصر التي ركب منها يعتبر شيئاً جميلاً.

حسام: لا شك أنّ التناسق والتناغم هما الأرض الصلبة التي يقف عليها الجمال،
فاذا نظرنا مثلاً الى الصديقة صونيا ورأينا كيف تناسق شلال شعرها
الأسود المتهدل وكأنه شلال عنبر، مع وجهها الأبيض المشرب بقليل من السمرة،
مع شفتي العناب الناضج، مع العنق العاجي المائل الى الطول وليس طويلاً
والى النحافة وليس نحيفاً، مع ترائب الصدر المصقولة والأثداء الناهدة بتحد
وجرأة.. لقلنا صونيا تملك جسداً متناسقاً متناسقاً في جزئياته، ولكن الروح
اللطيفة الشفافة الواعية المتناغمة بإشعاعها مع صفات العقل الكلي وطبائعه هي
التي أعطت صونيا جمالها الساحر وجعلتنا نقول دون مبالغة أنّ صونيا مثلاً أعلى
للجمال الانساني.

باتريسيا: دعوني أسأل سؤالاً صبيانياً في عرف أكثر الناس. قبل أن يبديع الله
الوجود ماذا كان يوجد؟

مايك: وكيف يقولون أنّ الله في اليوم الأول خلق كذا وكذا وفي اليوم الثاني خلق
كذا وكذا.. ثم استراح في اليوم السابع، هذا يعني أنه كان هناك أيام واليوم مقياس
يحدده دوران الأرض حول نفسها ودورانها حول الشمس، إذن كان هناك أرض
وكان هناك شمس وكان هناك زمان، وأستطرد فأقول أنّ الله نظم الكون ولم يخلقه،
وضع الموجودات تحت قوانين تسيير بموجبها ، فالله مشرع قانوني وليس خالقاً.

وطفة: هذا هو الشك الذي اعتبرته المراجع الدينية هرطقة وعاقبت عليه بالحرق
والصلب والسحل في القرون الوسطى.

مايك: أنا مؤمن حتى النخاع الشوكي ولكني أقرأ النصوص بعقلي المنطقي النقدي
ليس إلا.

حسام: ألم نقرأ جميعاً تلك العبارة المشهورة عن لسان الله سبحانه كنت كنزاً مخفياً
فأردت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني.

سليمان: معنى ذلك أنّ الله وهبنا العقل لنعرفه به، وبذلك يكون قد جعل العقل
موجوداً غائباً وليس موجوداً عبثياً، وجعل لغايات العقل تراتبية، فأول واجب على

العقل هو معرفة الله سبحانه، وعندما يحصل العقل على مرتبة معرفة الله عندئذ يعرف أن كل موجودات هذا الوجود لها قوانين تضبط نظامها، وأن الحق هو التناغم مع تلك القوانين والباطل هو مخالفتها، وأن الخير هو الثمرة العملانية لانسجام العقل مع قوانين طبيعة الموجودات والشر هو الثمرة العملانية لمخالفة العقل تلك القوانين، كما يعرف أن الأشياء بقدر انضباطها بقوانينها تكون جميلة وعادلة وبقدر المخالفة تكون قبيحة وظالمة.

باتريسيا: إذا كان الله قد أبداع هذا الوجود فمعنى ذلك أن الابداع له بداية فقد حصل في لحظة معينة، ولكن هذه اللحظة هي مقياس زمني، فهذا يعني أن الزمن قديم وليس محدث، ونحن نعرف أن كل موجود هو هيولى وصورة، وهذا يعني أنه كان هناك هيولى أولى أفاض الله عليها الصور فانتقلت الهيولى من موجودة بالقوة الى موجودة بالفعل، كذلك نفهم من ذلك أن الهيولى قديمة وليست محدثة وأن الابداع هو فيض الصور على الهيولى الأولى. وهنا يمكن اعتبار الانفجار الكبير الذي يتحدث عنه العلماء ليس إلا اللحظة التي أفاض الله بها الصور على الهيولى الأولى.

وظفة: أنا شخصياً أعتبر هذا الكلام لغواً لا طائل وراءه، إنه وسوسة الشيطان في العقول تمهيداً للوصول الى العبثية. برأبي المتواضع هذا النوع من التداعي الفكري لن يوصل إلا الى نتيجة واحدة وهي أن الوجود أوجد نفسه بنفسه.

حسام: من فمك أدينك، فالله هو الوجود، وإذا كان الوجود قد أوجد نفسه بنفسه فهذا يعني أن الله قد أوجد الوجود من ذاته.

سليمان: من هذه النقطة بالذات أنا أقول أن الخطأ الذي أعمى بصائر الناس هي كلمة بدء الوجود، فالبدء يعني حصول شيء في لحظة معينة، وقبل هذا الحصول كان هناك لا شيء، فبدء الكون معناه أنه كان هناك الله ولا شيء معه سوى العدم، ثم وبعد حصول الإبداع كان هناك الله ومعه الكون. وما يجب أن تلاحظوه في هذا الكلام هو القبل والبعد أي فكرة وجود الزمن.

مايك: وكيف تحدد المراجع الدينية إذن تاريخ زمني لخلق الكون هو البداية، وبعض المراجع تحدد أيضاً تاريخ زمني للنهاية فيصبح للكون بداية ونهاية، وما قبل البداية عدم وما بعد النهاية عدم.

صونيا: ألم نتفق أنّ العدم هو حالة من حالات الوجود وأنه لا يوجد في هذا الوجود إلا ما هو موجود.

وظفة: وأظننا قلنا أنّ الوجود هو الله، وبهذا يكون الوجود لا بداية له ولا نهاية، ألم يصف الله نفسه بأنه البداية والنهاية.

حسام: وكذلك وصف نفسه بأنه الظاهر والباطن.

سليمان: هذا ما كنت أهم بأن أقوله، بأنّ الوجود بكل صور موجوداته هو في قلب الله في ذاته، وأنّ الله الذي هو العاشق والمعشوق وموضوع العشق أظهر العقل الكلي هيولى جميع الموجودات والمختزن في جوهره صور جميع الموجودات التي تفيض من ذاته بالتأييد الإلهي، والذي سمّاه البعض الروح القدس، في تراخ من الزمن، ومعنى هذا الكلام أنه لا يوجد لحظة معينة لبدء الخلق، فالله لم يبدأ الخلق بل أبدأه، وهذه هي الأحجية التي بلبلت العقول، الفرق بين عبارة بدء الخلق وبين عبارة بدو الخلق، فبدأ معناها ظهر أي أنّ الله أظهر الخلق من داخل ذاته. فالخلق كان باطناً وظهر، وهذا معنى وصف الله لذاته بأنه الظاهر والباطن.

حسام: معنى كلامك أنّ الزمن فكرة معنوية موجودة في ذات الله عندما كان الخلق مستتراً في باطن الله وقبل أن يظهره، وعندما ابتدأ الكون يظهر من فيض النور الإلهي على العقل الكلي الهيولى الأولى لجميع الموجودات، ابتدأ الزمن يصبح مفهوماً مادياً له مقاييس مادية هي دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس.

أنا هنا أريد أن أسأل سؤالاً صيبانياً، هل يوجد زمن في المجرات الأخرى غير مجرتنا، وهل فكرة الزمن موجودة أصلاً إلا في عقل هذا الكائن الحيّ الذي اسمه الانسان.

صونيا: هناك عبارة لم أفهمها في كلام سليمان عندما قال أنّ صور الموجودات أخذت تظهر من جوهر العقل الكلي الذي هو هيولى جميع الموجودات في تراخ من الزمن، وهل معنى ذلك أنّ الله لم يقل لهذا الكون كُنّ فكان وأنّ الخلق كله أختصر في كلمة كُنّ.

حسام: هناك يا صديقتي تراخ من الزمن بين الكاف والنون.

سليمان: ابتدأت صور الموجودات تظهر من جوهر العقل الكلي بقوانين تضبط صيرورة تشكلها وتطورها حتى تبلغ كمالها، فكانت الطبائع الأربعة أولاً " الحرارة، البرودة، الرطوبة، اليبوسة" ثم تفاعلت هذه الطبائع مع نفسها بناءً على قوانين دقيقة وابتدأت تظهر الأفلاك ثم الاستقصات " النار، الهواء، الماء، التراب" ثم تفاعلت الاستقصات فظهرت الكواكب بنظامها الدقيق، ثم ظهر النبات، وبعده في تراخ زمني الحيوان، ثم تفاعلت كل عناصر الطبيعة حتى أظهرت أكمل صورة في حياة الوجود وهي الجسد البشري الحيّ المؤهل بكل حواسه وجوارحه وآلاته لاستقبال النفس العاقلة التي هي قبسٌ من نور الله جوهرها الوعي والحرية والمسؤولية ومنقوش على مرآة جوهرها كل قوانين الوجود وحقائقه البديهية، وبذلك يكون جوهر المعرفة في ذات الانسان وليس خارجه، والسفر يكون رحلة الى الموجودات الخارجية عبر الملاحظة والتجربة.

باتريسيا: معنى قولك هذا أنه يكفي للانسان جلسات تأملية يغوص فيها الى أعماق نفسه لمعرفة كل قوانين الوجود من معقولات كلية وحقائق بديهية ولا حاجة له الى مختبرات ولا الى مراكز أبحاث ولا الى عمل فريق متكامل يبدأ من حيث انتهى الآخرون.

طفة: هذا كلام شبيه بكلام المتدينين الأصوليين الذين يقولون أنّ كل حقائق الوجود موجودة في كتبهم المقدسة فمن يستوعب ما فيها يستغني عن كل علم خارجي.

مايك: وبهذا عبدوا الحرف فتصنموا وأوقفوا عجلة التطور والارتقاء.

صونيا: لا شك أنّ الله قد طبع على مرآة جوهر النفس كل الحقائق البديهية، ولكن هذه الحقائق هي بمثابة مبادئ كلية تحتاج الى جدل هابط لتتسحب على الجزئيات، وتحتاج الى معرفة العلاقة الجدلية بين الجزئيات والكليات، وهذه وظيفة المختبرات ودور الأبحاث.

حسام: علينا أن نتساءل هنا هل استطاع الانسان عبر حيواته الدنيوية المتواصلة أن يحافظ على مرآة نفسه نظيفة مصقولة ليستطيع أن يرى ما انطبع فيها من حقائق بديهية ونواميس كونية. لقد رمى الانسان فوق مرآة نفسه ملايين أطنان الأعمال القذرة عبر تقلبه في الحيوانات، فمن أين له أن يعود قادراً على رؤية ما انطبع في جوهرها من حقائق بديهية.

مايك: هذا يعني أننا بحاجة الى فتح ورشة تنظيف نفايات قبل أن نكون قادرين على التواصل مع تلك المعرفة.

باتريسيا: أنا لا أفهم ماذا تقصد بالنفايات والقذارات التي تراكمت فوق مرآة النفس.

سليمان: ببساطة أجبب أنها التصرفات الانسانية التي تخالف قوانين الطبيعة وقوانين العقل، فالانسان عبر العصور ونتيجة صراع الأضداد داخل نفسه أي صراع النور مع الظلمة والحقّ مع الباطل والخير مع الشرّ والجمال مع القبح ربّى في نفسه رغبات وغرائز اصطناعية لم تكن موجودة في طبيعته الأصلية كرغبة التلذذ بتعذيب الآخرين والاستمتاع بالتعدي على الآخرين واسترهانهم لخدمة أهوائه المخالفة لقوانين الطبيعة مثل رغبة الذكر البشري في معاشرة كمية كبيرة من الإناث وحرمان بقية الذكور من أنثى واحدة، أو تملك مساحات كبيرة من الأراضي وحرمان الآخرين من تملك شبر واحد واسترهانهم كعبيد لخدمة أرضه، أو بناء قصور له بمئات الغرف ثم إقفالها، أو تملك كمية هائلة من الأموال التي يعجز عن إنفاقها ولو عاش هو وأولاده مئات السنوات، أو دفن ثروته الى جانب جثته وحرمان المجتمع منها وهي فائض أتعاب بنييه، أو تدمير ممتلكات الآخرين ومصادرة حرياتهم وحققهم في التفكير والتعبير.. آلاف الشواهد لمخالفة الانسان لقوانين الطبيعة ومنطق العقل.

باتريسيا: ولكن الانسان بعد أن طمس الحقائق المنقوشة على مرآة جوهر نفسه كما تقولون، كيف له أن يعود الى كشفها وبأية آلية وبأية وسيلة؟

صونيا: هنا عليه أن يعود الى ما اكتشفه العلماء في مختبراتهم ومراكز أبحاثهم من قوانين طبيعية أو ما قدمه الفلاسفة من أبحاث في علم المنطق وسبر أغوار النفس البشرية ليستعان بها في ورشة تنظيف النفايات.

سليمان: وبذلك يلتقي الجدل الصاعد بالجدل الهابط، أي الانتقال من معرفة قوانين الجزئيات الذي يقدمه لنا العلماء والباحثون الى الوصول الى معرفة الكليات التي حقائقها منقوشة على مرايا نفوسنا، واذا نجحنا بصقل مرايا نفوسنا بتناغمنا مع القوانين والحقائق التي قدمها لنا العلماء والباحثين والفلاسفة والشعراء الخالدين، وأصبحنا قادرين على مشاهدة الحقائق البديهية المطبوعة على جواهر نفوسنا نعود لناخذ تلك الحقائق الكلية ونسحبها على الجزئيات في واقع حياتنا اليومية الدنيوية وما فيها من مستجدات لفهم قوانين صيرورة الاشياء ونواميس تطورها فنتناغم مع حركة تلك الصيرورة ومع مستجدات التطور والتغيير ونكافأ على ذلك بحياة انسانية منتجة خلاقة يسودها السلام والسعادة والمحبة والتضامن والعدالة الى ما فيه مزيد من التطور والارتقاء حتى نصل الى مرحلة القدرة على التواصل مع العقل الكلي منظم هذا الكون ومدبره بالنور الواعي الذي يفيض عليه من الذات الالهية، فنتماهى مع ذلك العقل الكلي ونغدو واعين بوعيه، متفهمين بفهمه، أسياداً للكون بسيادته، نوراً مصفى بصفائه.

الجميع: نتماهى مع العقل الكلي فنغدو واعين بوعيه، متفهمين بفهمه، أسياداً للكون بسيادته، نوراً مصفى بصفائه.

